المرأة وطلقات الفكر

- «منيرة ثابت» الثائرة الصغيرة
- «درية شفيق» «بنت النيل» الثائرة
- «روز اليوسف» الوردة المشاغبة
- «مَيْ زيادة» عواطف كسيرة أوصلتها إلى الجنون
- «صفية زغلول» ابنة الحسب والنسب الثائرة.
- «سميرة موسى» الشهيدة الأولى فى جرائم اغتيال العقول العربية

منيرة ثابت

الثائرة الصغيرة

- أول مصرية تكتب في الصحف.
- أول مصرية تصدر مجلة وجريدة.
- أول صحافية نقابية.
- أول كاتبه سياسية وأول رئيسة تحرير لجريدة سياسية.
- أول مصرية تحاكم بتهمة مهاجمة التدخل الأجنبى فى شئون البلاد.
- طالبت في فبراير ١٩٤٥ بالمساواة السياسية بين الرجل والمراة
- امرآة من طراز فريد، يسجل التاريخ مآثرها بحروف من نور.

طلقات الفكر أقوى وأكثر تأثيراً من طلقات الرصاص وقذائف المدافع، وفى ساحة المعارك الفكرية، كان للمرأة المصرية والعربية صولات وجولات، أطلقت منها رصاصات فكر مستنير، بددت أستار الجهل التى حاولت حرمانها من حقوقها.

منيرة ثابت واحدة من الرائدات الأوليات فى المناداة بحقوق المرأة السياسية، وكانت أول رئيسية تحرير مصرية لجريدتين فى وقت واحد، وأول صحافية مصرية تقف أمام القضاء لأنها تجاسرت وهاجمت المندوب السامى البريطانى.

نعم، لم تكن «منيرة ثابت» أول مصرية تكتب في الصحف، ولم تكن أيضاً أول مصرية تصدر مجلة أو جريدة، ولكنها كانت أول صحافية نقابية، وأول كاتبة سياسية، وأول رئيسة تحرير لجريدة سياسية.

كانت «منيرة ثابت» ثائرة منذ نعومة أظفارها. كانت صريحة واضحة، تصل إلى هدفها مباشرة، لا تعرف المهادنة أو الحلول الوسط. فهي صاحبة أول رسالة من مواطن تلقاها البرلمان المصري الذي أفتتح لأول مرة في ١٥ مارس ١٩٢٤م، وكانت تعيب على الدستور الذي صدر في ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ أنه أغفل إغفالاً تاماً كل الحقوق السياسية للمرأة.

وكان هذا أول صوت يرتفع صراحة يطلب إعطاء المرأة المصرية حق المساواة مع الرجل في ممارسة الواجبات والحقوق الدستورية كناخبة ونائبة، وأخرجت لهذا الغرض كتابها الأول «حقوق المرأة السياسية».

كانت الفتاة صاحبة هذا النداء في سنة ١٩٢٤م صبية حصلت على الشهادة الثانوية، ولم تجد باباً من أبواب التعليم العالى مفتوحاً أمام البنات، فالتحقت

بمدرسة الحقوق الفرنسية، التى كانت تعمل آنذاك في القاهرة، ويحصل الطلبة على شهاداتها من باريس، وحصلت منيرة ثابت من هذه المدرسة على ليسانس الحقوق، فكانت أول فتاة مصرية تحصل على هذه الشهادة، وقُيّدت أيامها فى جدول المحامين أمام المحاكم المختلطة.

معارضة مبكرة

عندما كانت طالبة فى المدرسة الفرنسية، كانت تكتب فى الصحف مهاجمة الحكومة والاستعمار. وأرادت الحكومة أن تخرس صوتها، فأرسل وزير المعارف واستدعى ناظر المدرسة الفرنسية إلى مكتبه، وطلب منه أن يمنع التلميذة «منيرة ثابت» من الكتابة السياسية فى الصحف، وأن هذا هو رأى مجلس الوزراء.

واعترض ناظر المدرسة، وقال: إن مدرسته تسير على غرار مدارس الحقوق في فرنسا التى تمنح تلاميذها حق الكتابة فى الصحف، ومعارضة الحكومة والهجوم عليها أيضاً، وإن المحامى مهمته أن يُدافع عن الشعب أولاً قبل أن يدافع عن الأفراد.

محاكمة..

ونظراً لمقالاتها الجريئة في الصحف، في هذا العمر المبكر، كانت «منيرة ثابت» أول فتاة عربية، تقف أمام النائب العام المصري، وهى تحت السن القانونية للعقاب، ليحقق معها بنفسه في جريمة قذف صحافي. وهكذا بدأت حياتها العملية، واعترفت الدولة رسمياً بصفتها الصحافية وعمرها ١٧ عاماً. وقد جرى التحقيق معها بأمر صادر من دار المندوب السامى البريطانى في مصر إلى رئيس الوزراء المصري الذي حوله إلى وزير الحقانية (العدل) للتنفيذ، وكانت جريمتها هي: مهاجمة التدخل الأجنبى في شؤون البلاد، ومهاجمة دار المندوب السامى البريطانى، والإستعمار وممثليه، وعلى رأسهم البلجيكى مسيو «فيرمان فن دن بوش» النائب العام لدى المحاكم المختلطة، الذى كان يسيطر على «قومسيون» بلدية الإسكندرية.

وشهدت محكمة باب الخلق ومندوبو الصحافة ووكالات الأنباء العالمية أول حدث تاريخى من نوعه، وهو محاكمة فتاة صحافية، ثائرة صغيرة، بأمر الاستعمار البريطانى. فقد طلبت الامبراطورية العظمى تعذيب الفتاة منيرة ثابت وحبسها وقفل جريدتها. وأنقذ الموقف، بعد مداولات طويلة أمام النيابة العامة، الوزير المصرى زكي باشا أبو السعود، وزير الحقانية فى ذلك الوقت، والنائب العام المصري طاهر باشا نور، فأعفياها من المسؤولية الجنائية «جرائم النشر» لصغر سنها، وكان ذلك عام ١٩٢٦م.

وفى صيف ذلك العام قُيد اسمها كصحافية عاملة فى النقابة الأهلية الأولى التى كانت قد تأسست فى الوقت نفسه. ولهذا أطلق عليها لقب «عميدة الصحافيات المصريات». وكانت «منيرة ثابت» قد أصدرت فى أواخر عام ١٩٥٢م جريدتين سياسيتين فى وقت واحد باسمها، إحداهما يومية فرنسية LESPOIRE التى تعنى «الأمل» والأخرى عربية أسبوعية بنفس الأسم.

حقوق المرأة

منذ أحداث سنة ١٩٢٦ المشار إليها، ظلت منيرة ثابت تعمل فى الكتابة والخطابة مُدافعة ومُطالبة بحقوق المرأة السياسية، ومُشاركة فى المؤتمرات والندوات.

تتحدث منيرة ثابت عن جهودها فى مجال المطالبة بحقوق المرأة السياسية، وأثر والدها والزعيم سعد زغلول فى توجيهها مبكراً إلى ذلك فتقول: «كان أبى وسعد زغلول من العوامل القوية التى دفعت بى مبكراً إلى هذا الطريق، فقد تلقيت منهما الإيحاء الفكرى والنفسى، فقد حدثنى والدى كثيراً فى شؤون المرأة فى مصر وفى الخارج، وذكر لى بصفة خاصة تاريخ حركة النساء فى إنجلترا، وقصة ثورتهن التى أدت إلى دخولهن البرلمان، وهكذا كان، رحمه الله، يوسوس إلىّ بهذه المسائل الخطيرة، ويحشو بها رأسى الصغير، حتى كاد ينفجر. وقد تلقفنى الزعيم سعد زغلول وأنا على هذه الحالة فى عام ١٩٢٤م، إذ اتصلت به

اتصالاً وثيقاً، فعطف عليّ وشجعني، ثم أكمل بأحاديثه الشيقة معي تعبئة رأسي بالذرات الباقية، في ميدان السياسة والنهضة النسوية الاجتماعية».

زعيمة سياسية

ثم تتحدث عن متى وكيف طالبت بحقوق المرأة السياسية، فتقول: «لمّا سمعت ذات يوم، أن القوم يضعون لمصر دستوراً وبرلماناً، خيّل إليّ أن الوقت قد حان لأن أتزعم حركة تشبه ثورة نساء الإنجليز، فأخذت فجأة أكتب وأبعث بعشرات المقالات للصحف العربية اليومية والأسبوعية وأحياناً الصحف الفرنسية. وفي هذه المقالات الأولى، كنت أبدي رأيي في شؤون مصر السياسية، وكنت أؤيد طبعاً سياسة الزعيم سعد زغلول. وقد طالبت بحق الانتخاب للمرأة، وبحق العضوية في المجلسين النيابيين، وكان ذلك قبل أن يفتتح رسمياً البرلمان المصري الأول بقليل».

وتقول إنها طالبت قبل افتتاح البرلمان المصري الأول في ١٥ مارس ١٩٢٤م، بأن يكون هناك مكان مخصص للمرأة المصرية حتى تشترك في هذا الاحتفال، فقد كتبت في جريدة الأهرام تقول: «إنه حقاً لمن الغبن الفاحش أن تُحرم مندوبات الجنس اللطيف من الإشتراك في الاحتفال بافتتاح البرلمان المصري».

اتصالات ومداولات

كانت منيرة ثابت صاحبة أول عريضة في تاريخ مصر، تطالب السلطات بمنح المرأة حقوقها السياسية، وكان ذلك في مارس سنة ١٩٢٧م، عندما رفعت عريضة إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس النواب، وبيّنت كيف «أن شريعتنا الإسلامية وتقاليدنا الشرقية سبقت المدنية الغربية في الإعتراف بحقوق المرأة السياسية، وقد أخذت بلاد أوروبا الراقية مؤخراً بهذه المساواة بين الرجل والمرأة، فاعترفت الولايات المتحدة وإنجلترا وألمانيا وكل البلاد الراقية للمرأة بحق الإنتخاب، حتى الهند وهي بلاد شرقية، لم تصل بعد إلى الدرجة التي وصلت إليها مصر من التقدم الإجتماعي والسياسي، اعترفت للمرأة بحق الإنتخاب. فهل

يصح مع هذا كله أن تبقى مصر منكرة على المرأة أن تتساوى مع الرجل فى الحقوق السياسية خصوصاً حق الانتخاب؟».

وبعد عام ١٩٣٨م انتقلت بمعركة حقوق المرأة المصرية إلى الميدان الأوروبى، حيث سافرت فى يونيو ١٩٣٩ إلى الدانمرك لتمثيل مصر فى المؤتمر الثالث عشر للاتحاد النسائى الدولى الذى انعقد فى كوبنهاجن، وكانت ضمن وفد يضم هدى هانم شعراوى، وسيزا نبراوى، حيث تحدثت منيرة ثابت أمام المؤتمر عن النهضة النسوية فى مصر ومطالب المرأة.

المساواة مع الرجال

وبسبب الحرب العالمية الثانية، حيث حطمت رقابة الأحكام العرفية الأقلام وكممت الأفواه، ركدت الحركة النسوية فى مصر ركوداً إجبارياً، ولم تكد الحرب تضع أوزارها حتى عادت منيرة ثابت إلى المطالبة بحقوق المرأة من جديد، فرفعت باسم المرأة المصرية إلى وزارة أحمد ماهر باشا عريضة تُطالب فيها بحقوق المرأة المصرية، وكان ذلك فى فبراير عام ١٩٤٥م والتى اختتمتها بقولها: «إنا نحن المصريات نطالب بضرورة احترام نصوص الدستور المصرى، ونتمسك بسيادة الأمة كاملة، نحن نتمسك بمبدأ سيادة الأمة ونطالب على أساسه بمساواتنا مع الرجال فى التمتع بالحقوق السياسية، كى تكون سيادة الأمة كاملة صحيحة ويكون المبدأ الديمقراطى قائماً سليماً. بناء على ما تقدم أرجو دولتكم المبادرة إلى رد اعتبار المرأة المصرية، وذلك بتقرير حقها فى المساواة سياسياً بالرجل وباشراكها فعلاً فى السلطتين التشريعية والتنفيذية».

البدايات

تأثرت «منيرة ثابت» فى فترة مبكرة من حياتها بأفكار والدها، وأفكار زعيم ثورة ١٩١٩، «سعد زغلول» وظهرت لديها موهبة الكتابة وهى لاتزال تلميذة فى المرحلة الإبتدائية.

وكتبت «منيرة ثابت» فى الصحف العربية والفرنسية وهى صغيرة، ومن

الصحف التى كانت تكتب فيها جريدة الأهرام، حيث كانت تبدى رأيها فى شؤون مصر السياسية وتطالب بحق الانتخاب للمرأة وبحق العضوية فى المجلسين النيابيين.

وفى أواخر عام ١٩٢٥، استطاعت منيرة ثابت أن تحصل من «إسماعيل صدقى» وزير داخلية مصر فى ذلك الوقت، على ترخيص بإصدار جريدتين سياسيتين فى وقت واحد، إحداهما يومية فرنسية، والأخرى عربية أسبوعية، وكلتاهما تحمل اسم «الأمل»، وكانت الجريدتان تطالبان بحقوق مصر فى الحرية والاستقلال وبحقوق المرأة السياسية والإجتماعية، وقد صدر العدد الأول من جريدة الأمل العربية فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥، وكانت تحمل فى صدرها تعبير: صحيفة الدفاع عن حقوق المرأة.

قنبلة صحافية

وكان العدد الأول من جريدة «الأمل» قنبلة، كما يقول الصحافى الكبير مصطفى أمين: هجوم على الإنجليز والمندوب السامى البريطانى، هجوم على القصر والملك فؤاد، هجوم على الحكومة وأحمد زيور باشا رئيس الوزراء. وأصبحت الأمل، من العدد الأول أوسع جريدة أسبوعية انتشاراً فى مصر، وأصبحت جريدة سعد زغلول الأولى.

ولم تكتف «منيرة ثابت» الشابة بهذا النجاح الساحق، فأصدرت جريدتها اليومية باللغة الفرنسية، وإذا بالجريدة الفرنسية الجديدة تزيح جميع الجرائد الأجنبية التى تصدر فى مصر، وتتصدر الصحف الأجنبية كلها.

وفى الجريدتين اهتمت الصحافية الثائرة بقضايا المرأة المصرية والمطالبة بحقوقها السياسية، وبحقها فى التعليم والعمل، ونادت بالتوسع فى مدارس تعليم البنات، وواجهت السيطرة الإنجليزية على التعليم، وطالبت باطلاق يد المصريات وترقيتهن إلى المراكز القيادية والإشرافية على التعليم.

ورغم اهتماماتها السياسية، لم تهمل «منيرة ثابت» القضايا الإجتماعية فى

معالجاتها الصحافية، فناقشت مشكلة الطلاق، وطالبت بسن قوانين تنظم هذا الحق وتحد من المبالغة فى تحكم الرجل فيه، كما حاربت تعدد الزوجات، تلك «الصفة الممقوتة» التى تسئ إلى الزوجة وتخل بالإقتصاد العائلى.

زواج وطلاق

أهاجت كتابات منيرة ثابت القصر، ودار المندوب السامى البريطانى، وغيرهما من الجهات التى رأت فى كتابتها وآرائها ثورة تحررية، لم تكن العقول مهيأة لها، وهاجمها العديد من الأقلام، وانهالت عليها التحقيقات والمصأدرات، ولكنها ظلت صامدة، ثائرة، لا يغريها وعد ولا يرهبها وعيد.

وكانت منيرة تطبع جريدتها الأسبوعية وجريدتها اليومية فى مطبعة «البلاغ» لصاحبها عبد القادر حمزة، الذى كان الصحافى الأول فى مصر بشهادة سعد زغلول، حيث كانت «البلاغ» لسانه الرسمى.

وأُعجب عبد القادر حمزة بشجاعة الكاتبة الثائرة وبحماسها وصمودها، وتطور الإعجاب إلى حب، ووجدت منيرة فى عبد القادر حمزة باشا فتى أحلامها بالرغم من أنه كان يكبرها بأكثر من عشرين عاماً. وتسربت قصة الحب بين عبد القادر حمزة ومنيرة ثابت إلى صحف الحكومة، فأرادت أن تُشهر بالصحافى الوفدى الكبير وبالصحافية الثائرة. وعلم سعد زغلول بما حدث، فاستدعى عبد القادر حمزة ونصحه بالزواج بمنيرة ثابت ما دام يحبها. وبالفعل تم الزواج. وتركت منيرة ثابت الميدان الصحافى وتفرغت للبيت، وتوقفت جريدة «الأمل» العربية بعد العدد الصادر فى ١٨ أكتوبر ١٩٢٧، وانزوت منيرة بضع سنوات، واشتركت فى كثير من الجمعيات النسائية، ولكنها لم تصمت عن المطالبة بحقوق المرأة. وما لبثت أن انفصلت عن زوجها عبد القادر حمزة بهدوء، وعادت إلى حياتها الصحافية، ولكن هذه المرة بين أسرة تحرير «الأهرام»، فقد فتح لها أنطون الجميل، رئيس تحرير الأهرام، صدر جريدته. حتى توفى انطون الجميل سنة ١٩٤٨م، ففكرت فى إعادة إصدار جريدة «الأمل» ولكن بعد أن

كانت ريح الصحافة فى مصر قد اتجهت اتجاهاً آخر لم تألفه ولم يألفها. ومع هذا فقد ظلت تكافح فى إصدار جريدتها وحيدة جريئة تقوم بما يحتاج القيام به عصبة من الرجال، حتى أنهكها العناء والشقاء والمرض حيث تُوفيت فى سبتمبر سنة ١٩٦٧م.

هذه هى، منيرة ثابت، التى أقامت الدنيا ولم تقعدها، والتى كانت صاحبة الصوت الأول فى المطالبة بحقوق المرأة السياسية، قبل أن تقوم الحياة البرلمانية فى مصر، وأصغر رئيسة تحرير فى مصر والعالم العربى، فى وقت كان الرجال يعجزون فيه عن القيام بهذه المهام. وعندما تحقق الحلم وأصبح من حق المرأة أن تكون عضوة فى البرلمان، حُرمت «منيرة ثابت» من الحق الذى طالما طالبت به. ولكن يبقى أنها امرأة من الطراز الفريد الذى لا يمكن للتاريخ إلا أن يسجل مآثرها بحروف من نور.